بذل المجهود

في حل سنن أبي داود

تأليف

الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي

(ت ٩٠٢ هـ)

دراسة وتحقيق

عبد اللطيف بن محمد الحلواني

أضواء السلف

ⓒ مكتبة اضواء السلف ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن

بذل المجهود في ختم السنن لابي داود./ محمد بن عبدالرحمن السخاوي؛ عبداللطيف؛ عبداللطيف بن محمد الجيلاني .- الرياض، ١٤٢٤هـ

١٥٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩ - ٠ - ٩٣٧٩ - ٩٩٦٠

١- الحديث - سنن ٢- الحديث - شرح أ- الجيلاني، عبداللطيف بن محمد (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٣٥,٤ ١٤٢٤/٥٠٣

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٠٣

ردمك: ٩ - ٠ - ٩٣٧٩ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزبي

الرياض - ص.ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنّ من كتب الإسلام الخالدة التي عُمِرَت المساجد والمدارس والبيوت بدرسها وقراءتها، وتسابق كبار الحفّاظ والعلماء إلى إقرائها وشرحها والعناية بها، وانْثَالَتْ عبارات النّاس في بيان مَزِيَّتِهَا وَسَبْقِهَا؛ كتاب السّنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتَانِيّ، ولا عجب أن يتبوّأ هذه المرتبة السامية، والمنزلة العالية، فهو أحد الكتب الستة المعتمدة من دواوين السنة النبوية، وأشهر كتاب من كتب الحديث المسندة يرجع إليه الفقهاء ويعتمدون عليه في أحاديث الأحكام، عِلاَوَةً على جلالة مصنفه، وَتَقَدُّمِهِ في المعرفة والحفظ والإتقان، ومما ينبغي أن يذكر هنا دقّة منهج الإمام أبي داود في إيراد الأحاديث، وحسن تبويبه، وبراعته في وضع التراجم، مع تعقيبات عديدة، وشروح مفيدة، ذيّل بها كثيرا من الروايات، وهي إمّا في الكلام على الرجال أو الأحاديث، أو شرح غريب الحديث أو بيان فقهه، أو غير ذلك من الفوائد

والفرائد، ثمّ إنّه انتخب كتابه السنن من خمسمائة ألف حديث، وَنَاهِيكَ بهـذا دليلا على عظمة هذا الكتاب وسمو منزلته.

ومن أهمّ الكتب التي تنـاولت سيرة الإمـام أبـي داود، والتعريـف بكتابـه السّنن كتاب"بذل المجهود في ختم السنن لأبي داود"، للحافظ شمس الدين أبـي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي(ت٩٠٢هـ)، وهو كتـابٌ جليـل، وعِلْـقٌ حَفِيل، شَحَنَهُ مُؤَلِّفُهُ بالكثير من الفوائد، وأورد فيه جملة من الفرائد، وعقد فيـه مباحث قيمة، وسَاقَ فيه نقولا نادرة، وأحسنَ في عرض مَادَّتِهِ، وتناول فقراته.

وكان تأليفه لهذا الكتاب برسم الانتهاء من إقراء كتاب السّنن لأبي داود، إذ جَرَتْ عَادَتُهُ رحمه الله أن يُصَنِّفَ خُتُوماً للكتب التي قام بإقرائها وتدريسها، وهو الذي شَهَرَ هذا اللّون من التصنيف وأَظْهَرَه، وتذكر بعض المصادر أنه أقرأ كثيرا من كتب الحديث والسيرة وجملـة مـن تصانيفـه، لا سيّما عنـد مجاورتـه بالحرمين الشريفين مكة والمدينة.

والمصنفات في الختم عادة ما يتناول فيهـا المصنّـف سيرة مؤلـف الكتـاب المختوم قراءته، ويُعَدِّدُ جملة من فضائله ومناقبه، ثم يتحـدّث عـن كتابـه، مُبَيِّنـاً خصَائصَه ومكانتَه بين المصنفات في فَنِّه، وغالبا ما يَنْثُرُ في غُضُونِ ذلك إفاداتٍ علميّة متنوعة، واستطرادات مفيدة.

وَأَسَاسُ تصنيفِ كتب الختم هو مجلس خَتْمِ الكتاب المقرر إقراؤه، وكانت مجالس الختم من المجالس العلمية المشـهودة، والمحـافل المحمـودة، لاَ يَتَخَلَّـفُ عـن حضورها الأمراء والأعيان وكبراء النـاس، بـل تقـترن كثير مـن تلـك المجـالس بتوزيع العطايا وإقامة المـآدب، وإلقـاء الشعراء قصـائدهم في الإشـادة بالشـيخ

وبيان فضله ونبوغه[١]، يقول السّخاوي:«وكان لكثير من ذلك ـ أي الكتب التي أقرأها ـ خُتُومٌ حافلة، وَرُسُومٌ أرجو أن تكون للقبول شاملة»[٢].

ومما يجعل هذا الكتاب حريّا بالتحقيق والعناية أنّه يقدّم خدمة جليلة لكتاب السنن لأبي داود، وهو بلا ريب حلقة مضيئة في سلسلة اهتمام علماء الإسلام بمصادر السنة النبوية، ولهذا كان هذا الكتاب مثار إعجابي، ووجدت نفسي مندفعا نحو العمل في تحقيقه وضبط نصّه، والتعليق عليه بما يسرّ عشّاق السنة النبوية إن شاء الله، معتمدا في ذلك على نسختين خطيتين محفوظتين بمكتبة الملك عبد العزيز العامرة بالمدينة النبوية.

ولا يفوتني هنا أن أزجي وافر الشكر وبالغ التقدير لأخي الفاضل الأستاذ الباحث المقتدر جمال عزّون على تشجيعه المتواصل وحَثِّهِ الدّائم على إخراج هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التراثية وإسهامه الكبير في تصحيحه وتقويم اعوجاجه، والشكر موصول لأخي الكريم الأستاذ الجليل الشيخ عبد الباري ابن شيخنا حماد الأنصاري، فقد فتح أمامي أبواب مكتبة والده رحمه الله ووضع بين يدي الكثير من أعلاقها النادرة، ثم تفضّل فنظر في هذا العمل وأفادني بجملة من التنبيهات المفيدة، والملحوظات القيمة، كما أشكر الأخ الفاضل النابغة المطلع عبد الرحمن الهيباوي الذي ساعدني في المقابلة والتصحيح، وجميع الإخوة الذين سعدت بتوجيهاتهم وإفاداتهم.

---

(١) إرشاد الغاوي بل إسعاف الطالب الراوي بترجمة السخاوي للمصنف ل٦٥/أ(مصورة عن مخطوط محفوظ بخزانة أيا صوفيا بتركيا بخط ابن فهد، وعليه خط مصنفه).

(٢) المصدر السابق.

وختاما أضرع إلى الله العليّ القدير أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع، وأن يجعله في سجل حسناتي يوم ألقاه، وأن يوفقني لنافع العلم، وصالح العمل، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، والحمد لله أولا وآخرا.

وكتب:

عبد اللّطيف بن محمّد الجيلانيّ الآسفيّ

لَطَفَ الله به وَغَفَرَ له ولوالديه

بالمدينة النبوية الشريفة ليلة يوم الإثنين١٣ من شهر ربيع الثاني عام١٤٢٣هـ.

التعريف بالمصنف
العلاّمة شمس الدين السّخاوي

ترجم السّخاوي لنفسه ترجمة مفصلة في كتابه الضوء اللامع، ثم عاد فأفرد كتابا ضخما في ترجمته والتأريخ لحياته وسيرته سمّاه:«إرشاد الغاوي بل إسعاف الطالب الراوي بترجمة السخاوي»، كما اعتنى عدد من العلماء بترجمته، وتناول الكثير من الباحثين في دراسات ضافية سيرته وجوانب من إبداعاته العلمية[1]، لذلك رأيت أنه من المناسب عدم الإطالة في هذا المقام

---

(١) انظر ترجمته في: الضوء اللامع(٨/٢-٣٢)، وإرشاد الغاوي(مخطوط بخزانة أيا صوفيا بإستانبول ويقع في ٢٣٣ورقة)، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة٣/٦٣٠، وتاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروسي(ص١٨-٢٣)، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي(١/٥٣-٥٤)، ونظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي(ص١٥٢-١٥٣)، والتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد أو فهرس ابن غازي المكناسي(ص١٤٨-١٦٩)، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي٣/٣٦١، وشذرات الذهب لابن العماد(٨/١٥-١٧)، والبدر الطالع للشوكاني(ص٧٠١-٧٠٤)، والتاج المكلل لصديق حسن خان(ص٤٤٩-٤٥٠)، وفهرس الفهارس لمحمد عبد الحي الكتاني(٢/٩٨٩-٩٩٣)، والأعلام لخير الدين الزركلي(٦/١٩٤)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان(٢/٤٣)، والملحق(٢/٣١-٣٣)، وَكُتِبَتْ عنه العديد من الدراسات أذكر منها: السّخاوي مؤرخا، لعبد الله بن ناصر الشقاري(رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة١٤٠٦هـ)، والسخاوي محدثا، لسعيد حليم(رسالة ماجستير بجامعة الحسن الثاني بالمغرب عام١٤١٤هـ)، والسخاوي وجهوده في الحديث وعلومه، لبدر العماش(رسالة دكتوراه بقسم علوم الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة عام١٤١٩هـ)، وقد صدرت مؤخرا في مجلدين عن مكتبة الرشد بالرياض وغيرها كثير.

والاكتفاء بتقديم ترجمة موجزة[١]، هي كما يلي:

العلاّمة الحافظ النّاقد شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السّخاوي القاهري المصري الشافعي.

مولده بالقاهرة سنة (٨٣١هـ)، ونشأ في رعاية والده الذي اهتم بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن، ولازم شيوخ عصره في فنون شتى كالعربية والحديث والفقه وغير ذلك، ورحل إلى أقطار شتى، وكتب العالي والنازل، واستكثر من الشيوخ حتى زاد عددهم على أربعمائة نفس، وانتفع كثيرا بشيخه الحافظ ابن حجر رحمه الله فكان لا ينفك عن ملازمته حتى أصبح أمثل تلاميذه وأقربهم إليه[٢]، ثم صار رحمه الله من أشهر علماء زمانه، وبرع في الحديث والتاريخ.

وتصدّى رحمه الله للإقراء والتدريس لا سيّما عند إقامته بالحرمين مكة والمدينة، فأقبل عليه الطلبة من كل حَدَب وصَوْب، وأخذ عنه من الخلائق من لا يحصى كثرة.

وأثنى عليه شيوخه وأقرانه وتلاميذه ثناء عاطرا، واعترفوا له بسعة الاطلاع، والتضلع في العلوم، قال عنه التقي ابن فهد المكي:«زين الحفاظ، وعمدة الأئمة الأيقاظ، شمس الدنيا والدين، ممن اعتنى بخدمة حديث سيد المرسلين، واشتهر بذلك في العالمين، على طريقة أهل الدين والتقوى، فبلغ فيه

---

(١) استقيت معظم هذه الترجمة من الضوء اللامع(٨/٢-٣٢)، وإرشاد الغاوي بل إسعاف الطالب الراوي بترجمة السخاوي، ورجعت إلى مصادر أخرى سأشير إليها عند النقل منها.

(٢) انظر الضوء اللامع٢/٤٠، و٨/٢٠.

الغاية القصوى»[١]، وقال عنه تقي الدين أحمد بن محمد الشُّمُنِّيّ:«الإمام العلاّمة الثقة الفهّامة الحجّة، مُفْتِي المسلمين، إمام المحدثين، حافظ العصر، شيخ السنة النبوية ومحررها، وحامل راية فنونها ومقررها، من صار الاعتماد عليه، والمرجوع في كشف المعضلات إليه، أمتع الله بفوائده، وأجراه على جميل عوائده»[٢]، وقال محمد بن أحمد بن غازي المكناسي:«الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد المسند المكثر»[٣]، وقال ابن العماد:«انتهى إليه علم الجرح والتعديل، حتى قيل لم يكن بعد الذهبي أحد سلك مسلكه»[٤]، وقال الشوكاني:«وبالجملة فهو من الأئمة الكبار»[٥].

وقد أثرى رحمه الله المكتبة الإسلامية بتصانيف كثيرة في الحديث والتاريخ وغيرهما من الفنون، وهي في مجملها متقنة محرّرة، ولذلك نالت استحسان العلماء وثناءهم، فقد كان العزّ الكناني الحنبلي يثني عليها ويكثر من مطالعتها والانتقاء منها[٦]، ومن أشهر هذه التصانيف: كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة

---

(١) انظر الضوء اللامع٨/٢٠.

(٢) انظر المصدر السابق٨/٢٥.

(٣) فهرس ابن غازي ص١٤٨.

(٤) شذرات الذهب٨/١٦.

(٥) البدر الطالع ص٧٠٢.

(٦) ذكر هذا السّخاوي نفسه ونقل عنه أنه قال في حقّ بعضها:"إن لم تكن التصانيف هكذا وإلا فلا فائدة"(إرشاد الغاوي ل٨٠/ب).

الشريفة، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، والغاية في شرح الهداية لابن الجزري، والأجوبة المرضية فيما سئل عنه من الأحاديث النبوية، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، وغيرها، وكلها مطبوعة متداولة[١].

توفي رحمه الله بعد حياة حافلة بطلب العلم والتدريس والإقراء والإفتاء والتصنيف سنة (٩٠٢هـ) ودفن بالبقيع بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[٢].

(١) يراجع بخصوص تصانيفه كتاب بعنوان: مؤلفات الحافظ السخاوي من إعداد مشهور حسن سلمان وأحمد الشقيرات.

(٢) انظر النور السافر ص١٨، والبدر الطالع ص٧٠٣، وشذرات الذهب٨/١٧.

موضوع الكتاب:

جرى عمل طائفة من العلماء المتأخرين على تأليف كتاب يسمّى بكتاب الختم[١] برسم الانتهاء من إقراء سِفْرٍ من الأسفار في مجال الحديث أو السيرة أو الفقه أو غيرها من الفنون، ويكون هذا الختم مرجعا للرّاغبين في معرفة سيرة مصنف الكتاب وفضائله ومآثره، وما يتعلق بخصائص كتابه ومنهجه فيه، ومنزلته بين المصنفات في فنه، والأسانيد التي يروى بها إلى مصنفه، وكثير من الختوم تشتمل على شرح آخر حديث في الكتاب، والكلام عليه سندا ومتنا؛ لا سيّما تلك التي صنفت في ختم صحيح البخاري.

وأساسُ تصنيف هذه الكتب هو مجلس الختم، وهو مجلس علمي حافل يختم به الشيخ دروسه في إقراء كتاب من الكتب المعتبرة، وعادة ما ينعقد هذا المجلس بحضور كبار علماء البلد وأعيانه، ويستعد له الشيخ استعدادا خاصّا، فيستجمع جَرَامِيزَه، ويُوَظِّفُ معارفه وعلومه؛ لِيُظهر عبقريته وبراعته في موضوع الكتاب المختوم، وكثيرا ما تقترن مجالس الختم بتوزيع العطايا وإقامة المآدب، وإلقاء الشعراء قصائدهم في الإشادة بالشيخ وبيان فضله ونبوغه، بحيث صار مجلس الختم أشبه ما يكون بمناسبة أو احتفال رسمي يُتَوَّجُ فيه الشيخ

---

(١) الختم مصدر من فعل ختم الثلاثي، وهو في اللغة يأتي بمعان عدة، والمراد به هنا الفراغ من الشيء، يقال ختم الشيء أي بلغ آخره وأتمه وفرغ منه، ويجمع جمع تكسير قياسا، فيقال: ختوم نحو ذنب وذنوب، وأختام نحو كوم وأكوام(انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٤٢٠، ولسان العرب لابن منظور١٢/١٦٤مادة: ختم).

وطلبته بعد فراغهم من قراءة كتاب من الكتب المهمة ودراسته، وكأن النُّظُم التعليمية المعاصرة قد استمدت من مثل هذه المجالس ما يسمّى اليوم بالحفلات الختامية التي تعقد بالمؤسسات التعليمية في نهاية كل عام دراسي، ويتمّ فيها إلقاء الكلمات وتسليم الشهادات، وتكريم المتفوقين من الطلاب بحضور الأساتذة وكبار المسؤولين.

وتعتبر كتب الختم مرجعاً مهمّاً في دراسة مناهج المصنفين؛ إذ يتضمن كثير منها خلاصة الاستقراء لتلك المناهج[1]، ولذلك فلا ينبغي إهمال الرجوع إليها لِكُلِّ مَنْ رَامَ البحث في تراجم العلماء أو مناهجهم في تصانيفهم أو النظر في أسانيد الكتب ومعرفة مدى انتشارها واهتمام الناس بها.

وقد بدأت العناية بهذا اللّون من التصنيف تبعاً لظهور التصنيف في افتتاح الكتب، أعني كتب الافتتاحيات، وهي كتب يصنفها الشيخ أو يمليها برسم الشروع في إقراء كتاب من الكتب أو تدريسه، فتكون بمثابة المقدمة أو المدخل لذلك الكتاب، ويتناول فيها المصنف ما يتناوله مؤلفوا كتب الختم من ترجمة صاحب الكتاب المراد إقراؤه، والكلام على خصائص كتابه ومنهجه فيه، وَسَوْقِ أسانيده إليه، وَعَرْضِ ما قيل في الثناء عليه نظما ونثرا، وأوّل من علمته صنّف في ذلك الحافظ أبو طاهر السِّلَفِي(ت٥٧٦هـ) حيث أملى مقدمة

---

(١) نبّه على هذا شيخنا الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف رحمه الله وتغمده برحمته في مقدمة تحقيقه لكتاب:"بغية الراغب المتمني في ختم النسائي برواية ابن السني" ص٥.

على كتاب معالم السنن للخطابي[١]، ومقدمة أخرى على كتاب الاستذكار لابن عبد البر القرطبي[٢]، ولم يشتهر التصنيف في الختم إلا مع مطلع القرن التاسع الهجري، فألّف في ذلك العلاّمة المحدث المقرئ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري(ت٨٣٣هـ) كتابه:"المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد"[٣]، ثمّ تلاه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيسي الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين(ت٨٤٢هـ)، فألف في ختم البخاري ومسلم[٤] والسيرة النبوية لابن هشام[٥]، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

---

(١) نشرها الشيخ راغب الطباخ في آخر طبعته لكتاب معالم السنن للخطابي التي صدرت عام١٩٢٤م ، ثم تابعه في ذلك أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي في النشرة التي صدرت بعنايتهما لمعالم السنن مع مختصر المنذري وتهذيب السنن لابن القيم، وطبعت بمطبعة السنة المحمدية بمصر عام١٩٥٠م، وانظر مقدمة السلفي في هذه الطبعة٨/١٣٨-١٦٣).

(٢) قمت بتحقيقها على نسختين خطيتين ونشرتها دار البشائر الإسلامية ببيروت عام١٤٢٢هـ، وممن ألّف في الافتتاحيات أيضا الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي(ت٨٤٢هـ) له كتاب: "افتتاح القاري لصحيح البخاري" نشرته دار ابن حزم ببيروت عام١٤٢٢هـ ضمن مجموع فيه رسائل لابن ناصر الدين بتحقيق مشعل المطيري، وللحافظ السيوطي(ت٩١١هـ):"رفد القاري بما ينبغي تقديمه عند افتتاح صحيح البخاري" مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم:٢٧١١ك، ولمحمد بن المدني بن الغازي بن الحسني الرباطي كتاب:"ثالث افتتاح لأصح الصحاح" مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع برقم:١٨٢١د.

(٣) ألّفه في مكة المكرمة عند ختمه لمسند الإمام أحمد سنة٨٢٨هـ، وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة١٣٤٧هـ، ثم قامت بطبعه مكتبة السنة بالقاهرة سنة١٤١٠هـ اعتمادا على طبعة مطبعة السعادة.

(٤) ذكرهما ضمن مؤلفات ابن ناصر الدين: السخاوي في الضوء اللامع ٨/١٠٤، وقد ترجّح لدي أن كتابه التنقيح في حديث التسبيح هو عين كتابه ختم البخاري، وكتاب التنقيح طبع بدار البشائر الإسلامية ببيروت عام١٤١٣هـ بتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي.

(٥) طبع بعنوان:"مجلس في ختم السيرة النبوية بتحقيق: إبراهيم صالح عن دار البشائر بدمشق عام١٤١٩هـ.

للقاضي عياض[١]، ثم أتى بعدهما مصنف هذا الختم الحافظ السخاوي(ت٩٠٢هـ) فاعتنى بتصنيف كتب الختم عناية كبرى لا نجدها عند غيره من المصنفين، فألّف ثلاثة عشر كتابا في ذلك، سمّاها عندما ترجم لنفسه في الضوء اللاّمع، وكذا في الترجمة التي أفردها لنفسه[٢]، وفيما يلي أسماء هذه الكتب مرتبة على حروف المعجم:

١ ـ الإلمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام[٣].

٢ ـ الانتهاض في ختم الشفا لعياض[٤].

٣ ـ بذل المجهود في ختم سنن أبي داود[٥].

٤ ـ بغية الراغب المتمني في ختم النسائي رواية ابن السني[٦].

٥ ـ الجوهرة المزهرة في ختم التذكرة للقرطبي.

٦ ـ رفع الإلباس في ختم السيرة لابن سيد الناس.

---

(١) قمت بتحقيقه على نسخة خطية فريدة محفوظة بخزانة أورشليم، وهو في طريقه إلى الطبع.

(٢) انظر الضوء اللامع٨/١٨، وإرشاد الغاوي بل إسعاف الطالب الراوي بترجمة السخاوي ل٧٩/أ ـ ٧٩/ب(مخطوط).

(٣) يوجد مخطوطا بدار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع برقم:٦٦٦٢، في خمس ورقات، نسخ بخط محمد بن أحمد بن محمد الشلبي الحنفي في شوال سنة١٠٤٤هـ، وله مصورة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو قيد التحقيق لدى بعض الإخوة الفضلاء.

(٤) حققت هذا الختم ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت عام١٤٢٢هـ.

(٥) وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

(٦) طبع بتحقيق شيخنا الدكتور عبد العزيز العبد اللطيف رحمه الله عام١٤١٤هـ بمكتبة العبيكان بالرياض.

٧ ـ الرياض في ختم الشفا لعياض[١].

٨ ـ عجالة الضرورة والحاجة عند ختم السنن لابن ماجه[٢].

٩ ـ عمدة القاري والسامع في ختم الصّحيح الجامع[٣].

١٠ ـ غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج[٤].

١١ ـ القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي.

١٢ ـ القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر[٥].

١٣ ـ اللّفظ النّافع في ختم كتاب الترمذي الجامع[٦].

---

(١) منه نسخة باليمن، وأخرى بخزانة الشيخ عارف حكمت بالمدينة ضمن مجموع برقم:٣٠٨، وثالثة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، يسر الله لي تحقيقه ونشره.

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية حسبما يذكره ناصر الشقاري في أطروحته السخاوي مؤرخا، وقد بحث عنه أحد الإخوة الأفاضل في الدار المذكورة فلم يعثر عليه، وكذا اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع الذي سيأتي ذكره قريبا.

(٣) طبع بتحقيق علي العمران اعتمادا على نسخة دار الكتب المصرية، وهي بخط تلميذ المؤلف القسطلاني ونشرته دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ثم نشر مؤخرا بتحقيق د. مبارك الهاجري الكويتي في مجلة كلية الشريعة التي تصدر عن جامعة الكويت/ السنة:١٦ العدد:٤٤/ ذو الحجة١٤٢١هـ = مارس ٢٠٠١م، اعتمادا على نسختين: النسخة المشار إليها، ونسخة مكتبة تشستربيتي بإرلندا وهي بخط البلبيسي، وهو أيضا تلميذ للمؤلف، وفاته هو والذي قبله اعتماد نسخة أخرى مهمة محفوظة بخزانة الشيخ عارف حكمت ضمن مجموع برقم:٣٠٨.

(٤) طبع بتحقيق نظر الفاريابي ونشرته مكتبة الكوثر بالرياض، اعتمادا على نسخة سقيمة محفوظة بمكتبة الحرم المكي، وفاته اعتماد نسختين مهمتين أولاهما: محفوظة بخزانة الشيخ عارف حكمت ضمن مجموع برقم:٣٠٨، والثانية: محفوظة بدار الكتب المصرية برقم:٢٥٦٩حديث، وكتب عنوان هذه النسخة بخط المؤلف.

(٥) نشرته دار ابن حزم ببيروت بتحقيق حاسم المري.

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية، وراجع ما تقدم من التعليق على كتاب عجالة الضرورة والحاجة.

وقد اهتمّ السخاوي بإقراء ختومه وإسماعها للطلبة، يقول في ترجمة تلميذه يحيى بن محمد بن صديق اليماني الزبيدي:«ممن جاور بالحرمين واشتغل فيهما بالفقه والنحو، ولقيني بمكة في سنة٨٩٣هـ، وسمع الكثير من الكتب الستة وتصانيفي في ختومها»[١]، وقال في ترجمة تلميذه أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن ظهيرة المكي:«سمع عليّ الشفا ومؤلفي في ختمه، وحضر علي قبل ذلك أشياء»[٢]، وقال أيضا في ترجمة تلميذ آخر من تلاميذه:«قرأ علي الألفية بحثا والقول البديع وترجمة النووي وختم كل من البخاري ومسلم وأبي داود والكلام على الميزان كلها من تصانيفي»[٣].

وَرَافَقَ مجالس ختمه للبخاري احتشاد واهتمام من طرف الولاة والأعيان حيث لم يكن يتخلّف منهم أحد عن الحضور في مجلس الختم، بل كانوا يوزعون العطايا والهبات على الطلبة والحاضرين، يقول السّخاوي:«وكان لبعض ختوم ذلك أوقات حافلة، وأمّا بالمدينة فختم في يوم جمعة بالروضة النبوية: البخاري، ومسند الشافعي، ودلائل النبوة، والقول البديع، وغيرها، ولم يتخلّف عنه كبير أحد، وأنشدت قصائد مبتكرة لغير واحد ذكرتها في محلها، وخَلَعَ الخواجا الشمسي ابن الزمن على القراء والمادحين، جُوزِيَ خيرا ونرجو

---

(١) الضوء اللامع ١٠/٢٤٨.

(٢) إرشاد الغاوي ل١٨٤/ب(مخطوط).

(٣) المصدر السابق ل٢١٣/أ.

القبول والمغفرة»[١]، ويقول في ترجمة أحمد بن عبد الرحيم بن محمود العيني القاهري أحد الوجهاء والمقدّمين في مصر:«سار على سيرة أكابر الملوك في الإنعام والمماليك خصوصا، فإنّه فعل من المعروف والإحسان شيئا كثيرا، وعُقِدَ عنده مجلس الحديث فما تخلّف كبيرُ أَحَدٍ عن حضور مجلسه، وَصَارَ يُعْطِيهِم الصُّرَرَ عند الختم والخِلَع وغير ذلك...»[٢]، ويبدو أن الاهتمام بمجالس الختم قد استمر على هذا النّمط في العصور التالية، بل ربما قد أولي عناية أكبر، فهذا العلاّمة أبو سالم العياشي(ت١٠٩٠هـ) يصف مجلس ختم كتاب الشفا على شيخه أبي مهدي عيسى الثعالبي أثناء مقامه بمكة فيقول:«وسمعت من لفظه نحو النصف من كتاب الشفا للقاضي عياض رواية ودراية يُقَرِّرُهُ أحسن تقرير، ويُبَيِّنُ مقاصده، وَيُطَالِعُ عليه شرح شيخنا شهاب الدين الخفاجي، وكنت أُمْسِكُهُ عليه في حال التقرير وَأَسْرُدُ له المحتاج منه، ويَحْضُرُ مجلسه فيه غالب النُّجَبَاءِ من متفقهي أهل مكة، وكان يوم ختمه يوما مشهودا، حضره أكابر الفقهاء وأديرت فيه كؤوس الأشربة الحلوة، وأطلقت فيه أنواع البخور والروائح الطيبة، وهذه أنهى تكرمة عند أهل ذلك القطر»[٣].

ومما ينبغي التنبيه عليه بخصوص المؤلفات في الختم أن السخاوي قد شَهَرَ هذا اللون من التصنيف، فَسَارَ على منواله في ذلك الجمّ الغفير من أهل العلم،

---

(١) إرشاد الغاوي ل٦٥/أ.

(٢) طبقات الحنفية ص٢٧(مخطوط بالمكتبة الأحمدية بحلب).

(٣) ماء الموائد أو الرحلة العياشية١٧٦/٢.

وممن ألّف في ذلك من أهل عصره العلاّمة القسطلاني(ت٩٢٦هـ) فله كتاب:"تحفة السّامع والقاري بختم صحيح البخاري"[١]، وبعده كتب أيضا عبد السلام بن محمود بن محمد العدوي الشافعي ختم الجامع الصحيح للبخاري، وقد أتمّه عام(١٠٣٣هـ)[٢]، وبعده ألّف العلاّمة المحدث محمد علي ابن علاّن الصديقي المكي(ت١٠٥٧هـ) كتاب:"الوجه الصّبيح في ختم الصّحيح"[٣]، وكتاب:"الابتهاج في ختم المنهاج"[٤]؛ أي المنهاج بشرح صحيح مسلم للنووي، وأشهر من اعتنى بتأليف كتب الختم بعد عصر السّخاوي العلاّمة المحدث عبد الله بن سالم البصري(ت١١٣٤هـ) فإنّه ألّف ختوما على الموطأ وصحيح البخاري، وجامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه[٥]، وبعده ألّف العلاّمة المحدث أبو العباس أحمد بن قاسم التميمي البُونِيّ(ت١١٣٩هـ) ختمه المسمّى:"إظهار نفائس ادِّخَارِي، المهيأة لختم كتاب البخاري"[٦]، ثمّ جاء العلاّمة أبو الفضل محمد تاج الدين بن عبد المحسن بن

---

(١) ذكره له السخاوي في الضوء اللامع٢/١٠٤، وانظر نسخه الخطية في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط(الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله) ١/٣٤١.

(٢) كما ذكره فؤاد سيد في فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية١/٢١٩.

(٣) انظر هدية العارفين لإسماعيل باشا٢/٥٢٥، ويوجد له نسخة خطية بالمكتبة المحمودية إحدى مجموعات مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ضمن مجموع برقم:١٦٤٥.

(٤) انظر هدية العارفين٢/٥٢٥.

(٥) لهذه الختوم نسخة خطية بمكتبة الحرم المكي ضمن مجموع برقم:٣٨٠٨ فلم:٢٦٠ـ٢٦٤، ولختم الموطأ والترمذي وابن ماجه نسخة أخرى بخزانة المحمودية بالمدينة ضمن مجموع برقم:٢٦٠٠.

(٦) انظر فهرس الفهارس١/٢٣٦-٢٣٧.

سالم القَلْعِيّ(ت١١٤٩هـ) فألّف:"منتخب الدراري في ختم صحيح البخاري"، و"ختم صحيح مسلم"[١]، كما ألّف الشيخ محمد مرتضى بن محمد الزّبيدي(ت١٢٠٥هـ) كتاب:"الابتهاج بختم صحيح مسلم بن الحجاج"[٢]، وكتاب:"تحفة الودود في ختم سنن أبي داود"[٣]، وعموما فإنّ المتأخرين ـ لا سيّما المغاربة ـ قد أكثروا من التأليف في الختم بحيث يضيق المجال هنا بحصر تصانيفهم في ذلك.

هذا ما حضرني عن كتب الختم، أمّا عن هذا الختم الذي بين أيدينا فهو مصدر مهمّ بالنسبة للباحثين في سيرة الإمام أبي داود وكتابه السّنن، ولا أعلم أحدا سبقه إلى إفراد كتاب في ذلك، وتعدّ افتتاحية أو مقدمة الحافظ أبي طاهر السِّلَفي على كتاب معالم السنن للخطّابي أوسع مصدر في هذا الموضوع، وإن كان مقصده الأساس هو الحديث عن الخطّابي وكتابه المعالم، وممن سَارَ على مضمار المؤلف وألّف في ختم سنن أبي داود: المحدث العلاّمة عبد الله بن سالم البصري(ت١١٣٤هـ)، وتحتفظ مكتبة الحرم المكي بنسخة خطية من ختمه، وهو يحمل رقم:٣٨٠٨، ويقع في سبع ورقات(من الورقة ٧١/ب إلى الورقة٧٨/ب)، وعن هذه النسخة مصورة بمكتبة شيخنا العلامة حماد

---

(١) كلاهما مخطوط بمكتبة الحرم المكي ضمن مجموع برقم:٣٨٠٨.

(٢) انظر فهرس الفهارس١/٥٣٨، ويوجد لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية بدار الكتب المصرية بعنوان:غاية الابتهاج لمقتفي أسانيد كتاب مسلم بن الحجاج" وهي تحمل رقم[١٤١/تيمور](انظر فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية لفؤاد سيد١/٢٦٣).

(٣) انظر فهرس الفهارس١/٥٣٩.

الأنصاري رحمه الله اطلعت عليها فوجدت الشيخ عبد الله بن سالم البصري قد اعتمد كثيرا على كتاب بذل المجهود للسّخاوي دون أن يشير إليه، بحيث يمكن القول أنه اختصر كتاب السخاوي، ولا نجد جديدا في كتابه سوى شرحه لآخر حديث رواه أبو داود في سننه، وهو حديث أبي هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا:«يُؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر»، فقد استغرق شرحه لهذا الحديث ما يقارب ورقتين من بداية المخطوط، ويلاحظ أيضا أنه توسّع في ذكر أسانيده التي يروي بها كتاب السنن.

وممن ألّف أيضا في موضوع هذا الكتاب العلاّمة المحدث محمد مرتضى ابن محمد الزّبيدي(ت١٢٠٥هـ)، وسمّى كتابه:"تحفة الودود في ختم سنن أبي داود"[1]، ولم أعثر لكتابه هذا على خبر.

وحينما نستعرض هذا الكتاب نجد الإمام السّخاوي قد افتتحه باستهلال بارع كعادة أهل عصره في العناية بالسّجع واستعمال المحسنات البديعية، وهذا الأسلوب يتسم أحيانا بالتكلف، ويطغى فيه الاهتمام باللّفظ على تأدية المعنى، ومعرفة هذا الأمر يظهر بجلاء عند الاطلاع على مقدمات الكتب المؤلفة في ذلك العصر والعصور التي أتت بعده، فهذا العلاّمة عبد الله بن سالم البصري يجتهد أن يُضَمِّنَ أسماء بعض الكتب المؤلفة على الموطأ مقدمة كتابه في ختم الموطأ، فيقول:«الحمد لله الذي أطلع من أصبح لا أعلم في عصره منه بسائر

---

(١) نسبه إليه الكتاني في فهرس الفهارس١/٥٣٩.